Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(2) ; January 2019

التعايش السلمي في المجتمع المدني في ضوء السيرة النبوية

Peaceful Co-Existence in the Civil Community in the Prophetic Sunna

أ. م .د. ساجده محمد زكي محمود
Asst. Prof. Sajida Muhammad Zaki Mahmood

الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات /قسم التاريخ
Dept. of History, College of Education for Women, Iraqia University

ملخص بحث : التعايش السلمي في المجتمع المدني في ضوء السيرة النبوية

في القراءة الواعية لآيات القران الكريم والسنّة النبوية المطهرة يتم الكشف عن منظومة من المفاهيم والممارسات التي تؤكد على حرية الإنسان وحقه في الاختيار .

تشير اعمال رسول الله ﷺوممارساته أنه حقق أعلى درجات التعايش السلمي في الحوار بين الغالب والمغلوب في مسامحة أعدائه الذين حاربوا دعوته وأخرجوه من بلده وآذوه وحاولوا قتله ،لكن الله نصره عليهم يوم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة ،فقال لقريش" **اذهبوا فأنتم الطلقاء** "[1].

تتنوع صيغ التسامح بتنوع المجتمعات الإنسانية في إطار الزمان والمكان ، والمراحل التاريخية ، فان التسامح يؤسس للعلاقات الإنسانية التي يريد الإسلام ترسيخها وأن يحقق الطمأنينة بحياة الناس فيزاولون خصوصياتهم الحضارية والثقافية ،التي لا سبيل إلى إلغائها، فمفهوم التسامح يرتبط عميقا بمفهوم السلام . حيث يسجل مفهوم التنوع حضوره في عمق التجربة الإنسانية .

إن القبول بالتعايش ومشاركة أبناء المجتمع الواحد في بناء الحياة الحرة الكريمة يدل على وضوح رؤية الإسلام في وجوب القبول بالآخر. وان تطبيق التسامح يعني ضرورة الاعتراف بان لكل انسان حقه في حرية اختيار معتقداته ، والقبول بان يتمتع الآخر بالحق نفسه ، وبالنتيجة فان التسامح يعبر عن احترام مشاعر الآخرين ومعتقداتهم .

الكلمات المفتاحية : الحوار ،حل الاختلاف ، التنوع الحضاري ، التعايش السلمي.

[1] البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت ٤٥٨هـ /١٠٧١ م) السنن الكبرى ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣ (بيروت ،دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م)ج٩، ص١٩٩.

A conscious reading of the glorious Quranic verses and prophetic traditions reveal a set of concepts that emphasize human freedom and right of choice. Messenger Muhammad (PBUH) personified a supreme level of peaceful co-existence. This was displayed in the dialogue between the conqueror and the conquered when he forgave his enemies, who had fought his call, expelled him from his homeland, hurt him and tried to kill him. When Allah granted him victory on the day of Conquering Mecca in 8 AH, he said to Quraish, "Go! You're free."

The forms of co-existence vary according to the different human communities in accordance to time, placeand historical eras. Co-existenceconstructs the human relations Islam intends to establish. It creates reassurance for people that allows them to practice their incontrovertible special civilizations and cultures. Co-existence is strongly connected to Islam. Variety is always present in the human experience.

Embracing co-existence and sharing the other community members in establishing a free and dignified life points to the clear Islamic vision concerning the mandatory acceptance of the other party. practicingco-existence means the necessity of admitting that everyone has a right to choose one's beliefs and has to accept that the other party enjoys the same right. Consequently, co-existence reveals respect to the other's feelings and beliefs.

المدخل

التعايش السلمي

هدف البحث : استخراج قيم ومبادئ التأصيل الاجتماعي للدولة في عصر الرسالة ، وإبراز نظم النشاط التربوي ، ومدى تطبيقها لأهداف الدولة في حياتها. ذلك أن الضرورة في مسائل التأصيل الاجتماعي، تحتم أن نبدأ بعصر الرسالة .

نطاق البحث: الحياة الاجتماعية والعلاقات الانسانية في عصر الرسالة

المنهج العلمي :إتباع المنهج التاريخي لاستقراء المتغيرات الاجتماعية في عصر الرسالة وربطها بالأحداث والوقائع التي واكبتها مع إظهار الدوافع لتلك المتغيرات .

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

ينطلق التعايش في الإسلام من رؤية حضارية، وليس أبلغ بالقصد من الآية الكريمة التي وردت في قوله تعالى { **:قُلْيَاأَهْلَالْكِتَابِتَعَالَوْاإِلَىكَلِمَةٍسَوَاءٍبَيْنَنَاوَبَيْنَكُمْأَلَّانَعْبُدَإِلَّااللَّهَوَلَانُشْرِكَبِهِشَيْئًاوَلَايَتَّخِذَبَعْضُنَابَعْضًاأَرْبَابًامِنْدُونِ اللَّهِفَإِنْتَوَلَّوْافَقُولُوااشْهَدُوابِأَنَّامُسْلِمُونَ}**[٢].وللدلالة على عمق مبدأ التعايش في منظور الإسلام ، تلمس سعة المساحة المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب، وإذا كان الإسلام قد جعل في حياة المسلمين متسعا شاسعا للتعايش مع بني الإنسان كافة ، فمن بابٍ أولى اتساعه للتعايش بين أبناءه .

ونجد في القران الكريم والسنّة النبوية المطهرة أمثلة لذلك على الطريقة الحوارية في التبليغ والتعليم والمجادلة بالتي هي أحسن. وهذا كان سبب اختيار موضوع البحث ، من أجل تسليط الضوء على هذا النشاط الحيوي المهم . وقد أثار الباحث مجموعة من الإشكاليات في محاولة لاستنباط نتائج تلك النشاطات ووضعها موضع التطبيق العملي من خلال طرح هذه التساؤلات :

١- هل مثّل الحوار بداية انطلاق سياسة اجتماعية جديدة لدولة المدينة ؟

٢- هل قدمت المبادرات في الجانب التربوي على إنها تأصيل اجتماعي ؟

[٢] سورة آل عمران ، الآية ٦٤

٣- هل أسهم التعايش في النهوض بالمجتمع آنذاك ؟

يدل فقهاللغة أن هناك فرق بين مفردتي (الاختلاف والخلاف)،فالاختلاف يكون في وجهات النظر العابرة ،أما الخلاف فهو مشادة تؤدي إلى الشقاق وهذا ما حاولنا أن نوضحه في البحث.

أهمية البحث : استمد البحث أهميته من التحديات التي تواجه الباحث في الكشف عن التأصيل التاريخي للتعايش في المجتمعات . وان من أهم وسائل حل الاختلاف التي اتبعها الرحمة المهداة عليه الصلاة والسلامالإقناع والمعاملة بالتي هي أحسن والسيرة النبوية تزخر بنماذج كثيرة من هذه الممارسات.

مشكلة البحث : تظهر في الحاجة إلى دراسة تاريخية لتطوير أداء العلاقات بين الأفراد كأحد أوجه الحياة الاجتماعية ، إذ يعتبر بداية التطبيق العملي للنهج التربوي الإسلامي .

أما أهم المصادر العلمية التي اعتمدت فهي كتب الحديث النبوي الشريف وكتب التاريخ الإسلامي العام .

جاءت هذه الدراسة في مبحثين تناولنا في المبحث الأول الوسائل النبوية في علاج الاختلاف وقد تضمن أربعة محاور تعالج مفهوم الاختلاف وأساليب الحوار الناجعة في حل الاشكالات التي طرأت على المجتمع.

أما المبحث الثاني فقد تطرقنا فيه إلى شواهد تاريخية من التنوع الحضاري ، والتعايش بسلام في ضوء السيرة النبوية .

المبحث الأول

مقومات المنهج النبوي في علاج الاختلاف

أولا :الحوار الهادف:

زخرت السيرة النبوية بشواهد التاريخيةتشير إلى أن رسول اللهﷺكان يبدأ بالثناء والنصح ثم التعامل مع كل أمر بما يصلح له، ومن الأساليب النبوية التي اتبعها رسول الله محمد ﷺ بطرق الحوار الهادف هي اجتماع المتحاورين ، واستثمار الفرص المناسبة لبث الكلمة الطيبة ، ونقضِ حجج الخصم ، وكشف ضعف استدلاله، ومن خلال :

أ– استقبال الوفود في المسجد:

وردت في كتب السيرة النبوية شواهد تاريخية تشير الى تجنب الاختلاف عن طريقاستقبال رسول الله ﷺ في مسجده وفوداً كثيرة ،كان من بينها وفد نصارى نجران:" لما قدم وفد نجران [٣]على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجده ، فأراد المسلمون منعهم، فقال لهم رسول الله ﷺدعوهمفاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم"[٤] .

وهذه الحادثة دليل حكمة رسول اللهﷺ لأنه رسول للبشرية جمعاء ، إذ لا يستخدم ﷺالإحراج، بل تجنب أسلوب التحدي في الحديث واعتمد المجادلة الحسنة في بيان الحقائق مع كون حجته قوية وبيّنة ،فالحواروالمجادلة بالحسنى أمرمتأصل في الكتاب والسنّة ، والإسلام دين منفتحٌ قائم على الحقيقة .

ب–الاحسان بالقول والعمل :

ومن الأساليب النبوية البليغة في استمالة قلوب المخالفين إتباع رسول الله ﷺ لأمر الله ﷻ في غير ما موضع في كتابه العزيز قال تعالى:**{وَلَاتَسْتَوِيالْحَسَنَةُوَلَاالسَّيِّئَةُادْفَعْبِالَّتِيهِيَأَحْسَنُفَإِذَاالَّذِيبَيْنَكَوَبَيْنَهُعَدَاوَةٌكَأَنَّهُوَلِيٌّحَمِيمٌ}**[٥].

وبهذا استمال ﷺقلوب أعدائه وأطفأ قسوتها حتى لانت وقبلت الحق . فالإحسان بالقول والعمل من أسباب زوال العداوة فقد ورَد في صحيح البخاري في باب (من لم يواجه الناس بالعتاب)[٦] وذكر فيه حديث عائشة رضي الله عنها قالت : " صنع النبيﷺ شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبيﷺ فخطب **فحمد الله ثم قال :" مابال قوم يتنزهون[٧] عن الشيء اصنعه فواللهإنيلأعلمهم بالله وأشدهم له خشية"** [٨].

---

[٣] نجران: بلدة من بلاد همدان من اليمن سميت باسم بانيها نجران بن زيد بن يعرب بن قحطان. (ينظر : ياقوت ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ/ ١١٢٨ م) معجم البلدان (بيروت ، دار صادر ، ١٩٩١ م) ج٥ ، ص٢٦٦) .

[٤] البخاري ،محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩ م) صحيح البخاري ، تحقيق : د . مصطفى ديب البغا ، ط٣ (بيروت ، دار ابن كثير ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م)ج١ ، ص٤٥٥ .

[٥] سورة فصلت : الآية ٣٤

[٦] البخاري ، صحيح البخاري ، ج٥ ، ص ٢٢٦٣ .

[٧] يتنزهون : يتطهرون (ينظر : ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي الانصاري الافريقي (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) لسان العرب ، ط ٣ (بيروت ، دار صادر ، ١٤١٤ هـ) ج ٤ ، ص ٥٠٦)

[٨] البخاري ، صحيح البخاري، ج ٥ ، ص ٢٢٦٣.

ومن ذلك عدم الانقيادللنفس ، فتنزه عنه القوم كأنهم كرهوا الشيء فخطب النبي ﷺ، وقوله :"...**فواللهإني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية** " جمع بين القوة العلمية والعملية أيأنهم توهموا أن رغبتهم عما افعل اقرب لهم عند الله وليس كذلك ، إذ هو أعلمهم بالقربى وأولاهم بالعمل.

فالنبيﷺ رفيقاً بأمته ولذلك خفف العتاب لأنهم فعلوا مايجوز لهم من الأخذ بالشدة ولو كان ذلك حراماً لأمرهم بالرجوع إلى فعله[٩].

ج- قبول الأعذار:

عن طريق استقراء التاريخ نجد ألوانا متنوعة من الاختلاف منها ما هو يسير ومنها ماهو غير ذلك في جوانب الحياة المختلفة ،من ذلك ماحدث للمسلمين عندما همّ رسول اللهﷺ بفتح مكة في السنة الثامنة للهجرة ،إذ لجأ أحد الصحابة إلى فعل مختلف ومستغرب حيث أرسلحاطب بن أبي بلتعة[١٠]ﷺ كتاباً إلى قريش يخبرها بأن المسلمين يريدون دخول مكة ، واكتشف أمره ، فحاوره ﷺعن السبب فقال :" يا رسول الله لاتعجل عليَ أني كنت امرءاً ملصقاً في قريش ،كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها ، وكان منْ معك من المهاجرين منْ لهم قرابات يحمون أهليهموأموالهم فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم أناتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم افعله ارتدادا عن ديني ولم أرض بالكفر بعد الإسلام"[١١].فقال عليه الصلاة والسلام :"**أما انه قد صدقكم**"[١٢]وهكذا حل رسول اللهﷺ هذا الاختلاف بالحوار والحكمة.

د –كسب القلوب:

عندما قدِم النبي محمد ﷺالى المدينة أصبح سكانها أخلاطاً من المسلمين ومن المشركين ، ومنهم اليهود[١٣]. لذا أكد على تنظيم أحوال المجتمع بكل فئاته . عن انسﷺ قال: "كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺفمرض فاتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال **له أسلم** ، فنظر إلىأبيه وهو عنده فقال له أطعأبا القاسم ﷺ

---

[٩]العيني ، بدر الدين محمود بن احمد(ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) عمدة القاري (بيروت، دار إحياء التراث العربي ، د . ت) ج١٠ ، ص ٥١٣.

[١٠] حاطب بن أبي بلتعة ، صحابي شهد بدرا .أرسله رسول اللّه ﷺ إلى المقوقس . توفي بالمدينة في خلافة عثمان بن عفان ﷺ . (ينظر : الربعي ، محمد بن عبد بن زبر (ت٣٩٧هـ)مولد العلماء ووفياتهم،تحقيق:عبد الله سليمان الجد ، ط١ (الرياض،١٤١٠ هـ)ج١ ، ص ١١٥)

[١١] احمد ، احمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥ م) مسند الإمام احمد بن حنبل (مصر ، مؤسسة قرطبة ، د. ت) ج ١، ص١٧٩ (ينظر :ابن هشام ،عبد الله بن هشام بن ايوب الحميري المعافري (ت ٢١٨ هـ/ ٨٣٣ م) السيرة النبوية، تحقيق : عبد الرؤوف سعد ، ط ١(بيروت ، دار الجيل ، ١٤١١ هـ)ج ٢ ، ص ص٣٩٧-١٣٩٨ ؛ البخاري ، صحيح ، ج٤، ص ١٥٥٧ .

[١٢]البخاري ، صحيح البخاري، ج٤، ص ١٥٥٧.

[١٣]ابن سعد ،محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) الطبقات الكبرى ، تحقيق : احسان عباس(بيروت . دار صادر ،١٩٦٨م)ج٢، ص٢٧

فأسلم فخرج النبي ﷺوهو يقول **الحمد لله الذي أنقذه من النار**"[١٤]فهو ﷺ القدوة الحسنة ذوالخلق القويم . وفي هذا دليل على أن هناك مجال واسع للتسابق في الخير والتنافس في الوصول الى أعلى الدرجات في المبادئ والقيم . فان احترام حق الغير في اعتقاد ما يشاء وفي تركه يعمل على وفق عقيدته مبدأ ثابت في الثقافة الإسلامية . وان رسالة النبيﷺ هي الرسالة الخاتمة وان شريعته هي الشريعة الخالدة ، لكن هذه الشريعة لم تقطع علاقتها مع الشرائع السابقة ، بل أكدت ان الأنبياء إخوة ، دينهم واحد[١٥]. وهذا ما أكده رسول الله ﷺ:" **الْأَنْبِيَاءُإِخْوَةٌ...،وَأُمَّهَاتُهُمْشَتَّى،وَدِينُهُمْوَاحِدٌ**..."[١٦].

ومن الصور التي تهدف إلى كسب القلوب واستلال الشحناء ؛الهدية ، حيث قبِل النبي ﷺ هدايا الملوك إليه، فقبِل هدية المقوقس صاحب مصر[١٧]،وهدية صاحب أيلة ودومة الجندل وأكيدر بن عبد الملك[١٨].

هـ . التحذير من الاختلاف:

إن اختلاف الآراء وتباين الأفكار أمر طبيعي في واقع المجتمعات البشرية ،إذ ورد في السيرة النبوية أن رسول الله ﷺ وهو في المدينة أنغاضه رجل من اليهود لما رأى من ألفة المسلمين وصلاح حالهم بعد الذي كان بينهم من عداوة وبغضاء في الجاهلية أمر شاباً على شاكلته أن يجلس مع الأوس و الخزرج وان يذكرهم بيوم بعاث[١٩]وما كان من اقتتالهم وانشد لهم بعض ما كانوا تداولوه فيه من أشعار، فتفاخر القوم نزوة جاهلية ثم تنازع بعض من أهلالأوس والخزرج ثم تواثب رجلان من الحيين وتقاولا فقال احدهما : "إن شئتم رددناها الآن جذعة " [٢٠]أي حامية ،وغضب الفريقان وكادت تقع الفتنة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم غاضباٍ فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال:"**يامعشر الأنصار:الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلاموقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف به بينكم**

---

[١٤]البخاري، صحيح البخاري، ج٢ ، ص٩٤.

[١٥]القاسمي ، احترام التنوع ، ص٦

[١٦]مسلم ،أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ/٨٧٤م)الجامع الصحيح المشهور بصحيح مسلم (بيروت ، دار الفكر،د.ت)ج٤،ص١٨٨٤

[١٧]الواقدي ، فتوح الشام،ج٢، ص٣٨ ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي(ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا (بيروت ، دار الكتب العلمية ،١٩٩٢م)ج٣، ص ٣٦٣

[١٨]اكيدر بن عبد الملك من كِندة .كان ملكا نصرانيا على دومة الجندل ،(ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣، ص ٣٦٤)

[١٩]بعاث: موضع بالمدينة ويوم بعاث من أيام الأوس والخزرج بين المبعث والهجرة وكان الظفر للاوس .(ينظر : ياقوت ، معجم البلدان، ج ١، ص٤٥١).

[٢٠]الكلاعي ،سليمان بن موسى الأندلسي (ت ٥٦٣هـ /١٢٣٦ م) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ، تحقيق : كمال الدين عز الدين علي ، ط١ (بيروت ، عالم الكتب ، ١٤١٧ هـ) ج ١، ص ٣٦١

ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً "[٢١] فعرف القوم إنها كيد من عدوهم وعانق الرجال بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول اللهﷺسامعين مطيعين[٢٢].

ثانيا : انزال الناس منازلهم:

عند استقراء السيرة النبوية نجد العديد من الحقائق التي تشير بدلالة واضحة إلى معالجة رسول الله ﷺ موضوع الاختلاف معالجة علمية وموضوعية ،ففي موقف رائع من أروع المواقف في غزوة حُنين في السنة الثامنة للهجرة كان المجاهدون منهم من أسلم من فترة وجيزة خرجوا لملاقاة هوازن وثقيف التي لم تدخل في طاعة رسول اللهﷺ ،والتي نزلت في وادي حُنين وساقوا معهم النساء والصبيان والأموال[٢٣].وفي المعركة تصدعت صفوف المشركين،ثم ولوا هاربين تاركين أموالهم ونساءهم وأبناءهم بأيدي المسلمين[٢٤].

وأعطى رسول اللهﷺ المؤلفة قلوبهم الذين دخلوا الاسلام تواً والمهاجرين لأنهم خسروا أموالهم عندما هاجروا ولم يعط الأنصار. ثم بلغ رسول الله ﷺإنالأنصار وجدوا في أنفسهم لعدم أخذهم شيئاً من غنائم غزوة حنين وكان الأنصار قد رغبوا بأن ينالوا نصيباً مما ناله إخوانهم المهاجرين ،وهنا نجد أن الحكمة التي يتميز بها رسولاللهﷺكانت السبب في الخروج من هذا الاختلاف ،فقد بيّن لهم عليه الصلاة والسلام حاجة المهاجرين وفقرهم،ورغّب الأنصار بما أعد الله سبحانه وتعالى لهم من النعيم المقيم ان تنازلوا عن حقهم لإخوانهم من المهاجرين الذين تركوا أموالهم ،وأن رسول الله ﷺ ليأنس بحوارهم وهو سيسلك طريقهم ،فقد جاء عن عبد الله بن زيد بن عاصم[٢٥]رضي الله عنهأنه قال: " لما أفاء[٢٦] الله تعالى على رسوله ﷺ يوم حُنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيء فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم

---

[٢١]الزيلعي ، جمال الدين عبد الله(٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م)تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ،ط١ (الرياض ، دار ابن خزيمة ، ١٤١٤ هـ)ج ١، ص ٢٠٩.

[٢٢]السيوطي ،عبد الرحمن جلال الدين(٩١١ هـ/١٥٠٥م) الدر المنثور(بيروت ، دار الفكر،١٩٩٣م) ج ٢ ، ص ٢٧٩

[٢٣] الواقدي ،محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ /٨٢٢م) كتاب المغازي ، تحقيق : مارسدن جونس ، ١٩٦٦م)ج٣،ص٨٨٥ ؛ الطبري ،محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) تاريخ الرسل والملوك ، ط ٢(بيروت ، دار التراث ، ١٣٨٧هـ)ج ٣، ص٧٠ .

[٢٤] ابن كثير ، اسماعيل بن عمر(ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٢م)البداية والنهاية (بيروت ، مكتبة المعارف ، د .ت)ج ٤، ص٣٣٠.

[٢٥] عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري المازني قتل يوم الحرة . له صحبة . (ينظر : الربعي ، مولد العلماء ووفياتهم ، ج١ ، ص٨٦) .

[٢٦]الفيء : المال الذي يأتي الى المسلمين بغير قتال ولا مشقة .(ينظر : الفراهيدي ، الخليل بن احمد(ت ١٧٠ هـ)العين ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي (بيروت ، دار مكتبة الهلال ، د . ت) ج ٨ ، ص ٤٠٦ ؛ الفيروز ابادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد(ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤م) القاموس المحيط ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، ط ٨(بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)ج١ ، ص ١٤٧٩).

فقال يا معشر الأنصار ألمأجدكم ضلالاً فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي كلما قال شيء قالوا الله ورسوله أَمَنُّ" [٢٧].

فالأنصار بتربية رسول اللهﷺ لهم وبحسن أدبهم وافقوا رسول الله ﷺ. وبدأ يكلمهم من منطلق انه محمد الرسول في قوله ﷺ"...**لو شئتم قلتم جئنا كذا وكذا ، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبيﷺإلى رحالكم**..."[٢٨]وهنا عمل ﷺ مسألة رائعة جدا حيث انتقل إلى تبني وجهة نظرهم ، ويكمل ﷺحديثه قائلا : "...**لولا الهجرة لكنت أُمْرأً من الأنصار ولو سلَك الناس واديا أوشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار**[٢٩] **والناس دثار**[٣٠] **ستلقون بعدي أثرة**[٣١]**فاصبروا حتى تلقوني على الحوض** " [٣٢].

فرسول الله ﷺ يسأل الصحابة رضوان الله عليهمفيكسب ودّهم ،ومن ثم يجيبهم ، فالحوار الذي أجراه لا يعدله شيء،فخرجوا راضين من هذه الجِلسة .

ثالثاً : الحرص على وحدة المجتمع :

اللافت للنظرإن رسول الله ﷺ كان أحيانا يسمع أذى ويصبرعليه ،لأنه بُعث رحمة للعالمين . من هذه الحقائق،كان ﷺيقسم بعض المال،إذ اعترض عليه احدهم فقال :" يا محمد اتق الله...[٣٣] ويهم احد الصحابة مستأذناً بقتله ، فيمنعه الرسول ﷺ قائلاً: **إن من ضئضئ**[٣٤] **هذا قوم يقرؤون القران لايجاوز حناجرهم ، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية ، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، لئن ادركتهم لأقتلنهم قتل عاد**[٣٥]:[٣٦].

---

[٢٧]البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٤، ص١٥٧٤؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج ٢ ، ص ٧٣٨.

[٢٨]البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص١٥٧٤.

[٢٩] شعار : ما يلبس تحت الثوب للبدن خاصة .(ينظر : الفراهيدي ، العين ،ج ٤ ، ص٢٤٨)

[٣٠] دثار : اللباس فوق سائر البدن (ينظر : الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ج ١، ص١١٠٢) .

[٣١] أثرة : الاستبداد بالشيء . الفيومي ، احمد بن محمد بن علي المقري (ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (بيروت ، د . ت) ج ١، ص٤

[٣٢] البخاري ، صحيح البخاري ،ج ٤، ص١٥٧٤

[٣٣]البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص ٣١٦٦.

[٣٤]ضئضئ : أصل الشئ ومعدنه وقيل نسله . (ينظر : القاضي عياض، بن موسى بن عياض اليحصبي البستي (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م):مشارق الأنوار على صحاح الاثار(بيروت، المكتبة العتيقة ودار التراث ، د.ت)ج٢ ، ص ٥٥)

[٣٥] عاد: قوم نسبة إلى عاد بن سام بن نوح عليه السلام .(ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج٢، ص ٢٢٠)

[٣٦]البخاري ، صحيح البخاري ،ج ٦، ص٢٧٠٢ .

إذا وقفنا برهة متمعنين بهذه الحادثة ومتسائلين من أين أتى هذا الدعي حين ظن انه اعلم من رسول الله ﷺ بالعدل ومواقعه، لقد أتى من جهله بمقاصد الدين والأحكام وهذا الفهم السامي لم يصل إليه نظر هذا الدعي للعدل فتقاصر عنه[٣٧].

ويحضرنا في هذا الصدد واقعة ذلك الذي اعترض على الرسولﷺفي القسمة، حتى استأذن خالد بن الوليدرضي الله عنه أن يضرب عنقه ، فقال له ﷺ: "**لا لعله أن يكون يصلي**" [٣٨] فقال خالد : (كم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه)[٣٩] فيجيبه ﷺ: "**إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولااشق بطونهم**"[٤٠].

إن الله سبحانه وتعالى بعث محمداﷺبالحق وانزل عليه الكتاب ، وقد بُعث الى ذوي أهواء متفرقة وقلوب مشتتة وآراء متباينة فجمع به الشمل وألف به بين القلوب، ثم إن النبي ﷺ كره من المجادلة مايفضي الى التفرق والاختلاف ، لذا قال ﷺ: "**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**" [٤١].

المبحث الثاني

شواهدمن التنوع الحضاري

أولا –التعامل وفق مبدأ السلم :

ورد في لسان العرب[٤٢] السِلم: المسالمةوَالصُّلْحُضِدُّالْحَرْبِوَالْمُحَارَبَةِ . وفي الآية{:...**فَإِنِاعْتَزَلُوكُمْفَلَمْيُقَاتِلُوكُمْوَأَلْقَوْاإِلَيْكُمُالسَّلَمَفَمَاجَعَلَاللَّهُلَكُمْعَلَيْهِمْسَبِيلًا** }[٤٣]. ونبهت الأحاديث النبوية على الأمر ذاته :قَالَ رسول الله ﷺ: "

---

[٣٧]البغدادي ،عبد العزيز أحمد ، ترشيد الاختلاف لواجب الائتلاف، بحث في فتنة الاختلاف والتفرق فيهما ترشيدا(بغداد ، دار الرقيم ،٢٠٠٤ م) ج١٣ ، ص١٣١-١٣٢

[٣٨]البخاري ، صحيح ، البخاري، ج ٤، ص١٥٨١

[٣٩]البخاري ، صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٥٨١

[٤٠]البخاري ، صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٥٨١.

[٤١]البخاري ،صحيح البخاري،ج ٥ ،ص ٢٢٥٧ ؛ مسلم، صحيح مسلم، ج٤ ، ص ١٩٨٣.

[٤٢] ابن منظور،ج ٦، ص٣

[٤٣]سورة النساء ، من الآية ٩٠

يَاأَيُّهَاالنَّاسُ،أَلَاإِنَّرَبَّكُمْوَاحِدٌ،وَإِنَّأَبَاكُمْوَاحِدٌ،أَلَالَافَضْلَلِعَرَبِيٍّعَلَىعَجَمِيٍّ،وَلَالِعَجَمِيٍّعَلَىعَرَبِيٍّ،وَلَاأَحْمَرَعَلَىأَسْوَدَ، وَلَاأَسْوَدَعَلَىأَحْمَرَ،إِلَّابِالتَّقْوَىأَبَلَّغْتُ" [٤٤].

ويدعو الإسلام جميع الناس للدخول في السلم **{يَاأَيُّهَاالَّذِينَآمَنُوااادْخُلُوافِيالسِّلْمِكَافَّةًوَلَاتَتَّبِعُواخُطُواتِالشَّيْطَانِإِنَّهُلَكُمْعَدُوٌّمُبِين}**[٤٥]. فللسلام شأن كبير فهو من أسماء الله الحسنى **{هُوَ اللَّهُالَّذِيلَاإِلَهَإِلَّاهُوَالْمَلِكُالْقُدُّوسُالسَّلَامُالْمُؤْمِنُالْمُهَيْمِنُالْعَزِيزُالْجَبَّارُالْمُتَكَبِّرُسُبْحَانَاللَّهِعَمَّا يُشْرِكُونَ}**[٤٦].

كما إن تحية المسلمين يوم القيامة حيث ترحب بهم الملائكة**{حَتَّىإِذَاجَاءُوهَاوَفُتِحَتْأَبْوَابُهَاوَقَالَلَهُمْخَزَنَتُهَاسَلَامٌعَلَيْكُمْطِبْتُمْفَادْخُلُوهَاخَالِدِينَ}**[٤٧].

والدار التي يدخلها المسلمون في الجنة دار السلام دلالة على الاطمئنان **{لَهُمْدَارُالسَّلَامِعِنْدَرَبِّهِمْوَهُوَوَلِيُّهُمْبِمَاكَانُوايَعْمَلُونَ}**[٤٨]. وهكذا فأمر المسلمين كله سلام فالتعايش خير ونفع للناس.

وفي المجتمع المسلم يعيش أبناء الديانات الأخرى ممن أسمتهم المصادر أهل الذمة ،وهم يعيشون ضمن حدود دولة الإسلام، ويدينون بالطاعة[٤٩].فمن صار ذِمِّيًّاحَرُمَدَمُهُوَمَالُهُكَحُرْمَةِدَمِالْمُسْلِمِوَمَالِالْمُسْلِمِ[٥٠].

ونتلمس استعمال مصطلح (أهل الذمة)في معظم الكتب التي أرسلها رسول الله ﷺ في دعوته قَالَﷺ: " **مَنْقَتَلَقَتِيلًامِنْأَهْلِالذِّمَّةِلَمْيَرَحْرَائِحَةَالْجَنَّةِ،وَإِنَّرِيحَهَالَيُوجَدُمِنْمَسِيرَةِأَرْبَعِينَعَامًا** "[٥١].

وقال الإمام علي عليه السلام عن أهل الذمة :" إِنَّمَاقَبِلُواعَقْدَالذِّمَّةِ؛لِتَكُونَأَمْوَالُهُمْكَأَمْوَالِنَا،وَدِمَاؤُهُمْكَدِمَائِنَا" [٥٢].

---

[٤٤]احمد ، مسند ، ج ٣٨ ، ص٤٧٤

[٤٥] سورة البقرة ، الآية ٢٠٨

[٤٦]سورة الحشر ، الآية ٢٣

[٤٧] سورة الزمر ، من الآية ٧٣

[٤٨]سورة الأنعام ، الآية ١٢٧

[٤٩]الكاساني ، علاء الدين أبو بكر بن مسعود(ت ٥٨٧ هـ / ١١٩١م) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع،ط٢(بيروت ،دارالكتب العلمية،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ج٧،ص١٠٦

[٥٠] الطحاوي ،محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) تاريخ الرسل والملوك ، ط ٢(بيروت ، دار التراث ، ١٣٨٧هـ) ج٣ ، ص١٩٥.

[٥١]احمد ، مسند ، احمد ، ج١١،ص٣٥٦

وانضوى تحت راية الإسلام المستأمنون وهم طالبي الأمان من غير المسلمين يؤهلهم للدخول إلى دار الإسلام والإقامة فيها[٥٣]، ويعتمد جواز عهد الأمان الى الآية الكريمة:{وَإِنْأَحَدٌمِنَالْمُشْرِكِينَاسْتَجَارَكَفَأَجِرْهُحَتَّيَسْمَعَكَلَامَاللَّهِثُمَّأَبْلِغْهُمَأْمَنَهُذَلِكَبِأَنَّهُمْقَوْمٌلَايَعْلَمُونَ}[٥٤].

ثانيا– التعايش في ضوء صحيفة المدينة :

التنوع والتعدد والاختلاف سنة من سنن الله ﷻ، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾[55]. مادام الاختلاف سنة من سنن هذا الكون، فمن الطبيعي أن لا يتفق البشر جميعاً في الأفكار والتصورات، فضلاً عن الدين، ومن المعلوم أنّ الإسلام يقوم على الاعتراف الإيجابي بالآخر، وإقراره على معتقده ودينه ، قال تعالى: ﴿**لكم دينكم ولي دين**﴾[٣].[56]

والتعارف وسيلة للعلاقة مع البشر . قال رسول الله ﷺ:"**الْمُسْلِمُونَتَتَكَافَأُدِمَاؤُهُمْ. يَسْعَىبِذِمَّتِهِمْأَدْنَاهُمْ،وَيُجِيرُعَلَيْهِمْأَقْصَاهُمْ،وَهُمْيَدٌعَلَىمَنْسِوَاهُمْيَرُدُّمُشِدُّهُمْعَلَىمُضْعِفِهِمْ**"[٥٧] قوله ﷺ يسعىبذمتهمأدناهم،يريدأنالعبدومنكانفيمعناهمنالضعفاءإذاأجارواغير المسلمينأمضيجوارهمولمتخفرذمتهم.وأنبعضالمسلمينوإنكانقاصيالدارإذاعقدلغير المسلمعقداًليكنلأحدمنهمأنينقضهوإنكانأقربدارامنالمعقودله[٥٨] .فان تعايش المسلم مع غير المسلم مألوف طالما ليس فيه تهديد للمسلمين أو اعتداء على الدين {**لَايَنْهَاكُمُاللَّهُعَنِالَّذِينَلَمْيُقَاتِلُوكُمْفِيالدِّينِوَلَمْيُخْرِجُوكُمْمِنْدِيَارِكُمْأَنْتَبَرُّوهُمْوَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْإِنَّاللَّهَيُحِبُّالْمُقْسِطِينَ**

---

[٥٢]الكاساني ، بدائع الصنائع ،ج٧،ص١١١

[٥٣]مصطفى، إبراهيم / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)المعجم الوسيط(القاهرة ، مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة، د. ت) ص٢٨

[٥٤]سورة التوبة، الآية ٦

[٥٥]سورة هود،الآيتان١١٨-١١٩

[٥٦]سورة الكافرون، الآية ٦

[٥٧]أبو داود ، سنن أبي داود،ج٣، ص ٨٠

[٥٨]البستي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) معالم السنن،ط١(حلب،المطبعة العلمية ، ١٣٥ هـ - ١٩٣٢م)ج٢ ، ص٣١٤

}[٥٩] قال رسول الله ﷺ:"**لقدشهدتُفيدارعبداللهبنجُدعانحلفاًلودُعيتُلهفيالإسلاملأجبت** " [٦٠].

يعنيحِلْفالفُضُول للتَّنَاصُفِوالأَخذللضَّعِيفِمِنَالقويِّ[٦١].

ودعا رسول الله ﷺ بالحكمة والموعظة الحسنة ، فلما هاجر الى المدينة المنورة أقام صحيفة المدينة مع من يسكنها من اليهود ، فلم يمحو دينهم ، بل أقام دستورا بين المسلمين واليهود مبنيا على العدل[٦٢]. وعندما حارب قبائل اليهود لم يكن بسبب الاختلاف معهم في الدين ، بل كان بسبب نقضهم للمعاهدات وتأليبهم قبائل المشركين ضد النبي والمسلمين[٦٣].

وكانت التركيبة السكانية للمدينة عشية وصول رسول الله ﷺتشكل مزيجا إنسانيا متنوعاً من حيث الدين والعقيدة، ومن حيث الانتماء القبلي ، ومن حيث نمط المعيشة، ففيهم المهاجرون، واليهود والأعراب الذين يساكنون أهل يثرب، والموالي والعبيد، والأحلافولكل عشيرة منهم زعامة تقوم على رعاية شؤونها، وضمان عيشها وأمنها[٦٤].

وأكدت صحيفة المدينة على احترام حق الغير في العقيدة وعدم إكراههم على عمل ما يخالفها حق ثابت في الثقافة الإسلامية **فالمؤمنون والمسلمون امة واحدة من دون الناس...وبينهم النصح والنصيحة ونصرة المظلوم**[٦٥].

---

[٥٩] سورة الممتحنة ، الآية ٨

[٦٠] الازرقي ،محمدبن عبد الله (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م) أخبار مكة وما جاء فيها من الاثار ،تحقيق: رشدي الصالح ، ط١(بيروت ،دار الاندلس ، د.ت)ج٢، ص ٢٥٧؛ ابن حبان ، محمد بنحبان بن احمد التميمي(ت٣٥٤هـ/٩٦٥م)صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق : شعيب الارناؤوط(بيروت، مؤسسة الرسالة ،١٩٩٣م)ج١٠ ، ص٢١٨

[٦١] ابن منظور ، لسان العرب ، ج١١، ص٥٢٧

[٦٢] ابن هشام ، السيرة النبوية،ج١، ص٥٠١ ؛ ابن سيد الناس ،محمد بن محمد بن احمد اليعمري(ت ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣م) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير،تعليق: ابراهيم محمد رمضان ، ط ١ (بيروت ، دار القلم ، ١٤١٤ هـ /١٩٩٣م)ج١ ، ص١٢٧

[٦٣] ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج١ ، ص٣٤٤

[٦٤] النابلسي ، أحمد راتب ، التعايش السلمي والتالف ، موقع سيدنا محمد ﷺ ، نت

[٦٥] الكلاعي ،الاكتفاء، ج١،ص٢٩٦ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الاثر ، ج١ ، ص٣٤٤

وعلى وفق هذه المعطيات والمبادئ، منعت هذه الصحيفة التجاوزاتبين سكان المدينة للحفاظ على الثقة والتعاون بين الجميع.وأعظم مهمة أنفذها النبي ﷺ إقامة نظام عام، ودستور شامل لجميع ساكني المدينة بين المسلمين وسواهم فذلك التنظيم حضارة[٦٦].

وقد حددت بنود الصحيفة التي اصدرها الرسول ﷺ بين سكان المدينة أسسا هامة في المساواة في الحقوق والواجبات[٦٧]. وأن

المسلمينأمةتربطأفرادهارابطةالعقيدةوليسالدم،فيتحدشعورهموتتحدأفكارهموتتحدقبلتهمووجهتهم،ولاؤهمللهوليسلقبيلة،واحتكامهمهموولائهم للشرع وليس للعُرف[٦٨].

إن مبادئ الصحيفة مستمدة مما ورد في القرآن الكريم والمبادئالعامةمنحيثاعتبارالمسلمينأمةواحدةمندونالناس،ومنحيثالتراحموالتعاونبينهم،والاحتفاظبرابطةالولاءومايترتب عليهامنحقوقالموالاة،ثممنحيثمراعاةحقوقالقرابةوالصحبةوالجوار،كذلكتحديدالمسؤوليةالشخصيةوالبعدعنشاراتالجاهليةوحميتهاوفيوجوبالخضوعللقانونوردالأمرإلىالدولةبأجهزتهاوقائدها

للتصرفبالأمور،وفيشؤونالحربوالسلم،وأنحربالأفرادوسلمهمإنماتدخلفيالاختصاصالعامفلاتحدثفرديا،كذلكمعاونةالدولةفيإقرارالنظاموالأخذعلىيدالظالموعدمنصرالمحدثأوإيوائه[٦٩].

والشواهد التاريخية تدل على تطبيق مبدأ التسامح مع غير المسلمين في البلاد المفتوحة[٧٠]، حيث بين عز وجل ضرورة الالتزام بالإيفاء بالعهد وان كان مع المشركين(**إِلَّا الَّذِينَعَاهَدْتُمْمِنَالْمُشْرِكِينَثُمَّلَمْيَنْقُصُوكُمْشَيْئًاوَلَمْيُظَاهِرُواعَلَيْكُمْأَحَدًافَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْعَهْدَهُمْإِلَىمُدَّتِهِمْإِنَّاللَّهَيُحِبُّالْمُتَّقِينَ**)[٧١]، كما أوصى رسول الله ﷺ بالحفاظ على أرواح وممتلكات الذين عاهدوا المسلمين

---

[٦٦] النابلسي ، م . ن

[٦٧] ابن سيد الناس ، عيون الاثر ،ج١ ، ص٣٤٤

[٦٨] العمري، أكرم ضياء السِّيرةُ النَّبويَّةُ الصَّحيحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبوِيَّةِ ،ط٦ (المدينة المنورة ،مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٤م)ج١،ص٢٩.

[٦٩] خليل، عماد الدين ، دراسة في السيرة(بيروت ، دار النفائس،١٤٢٥هـ)ص١٢٥؛ الشريف، أحمد إبراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية والاسلام (مصر ، دار الفكر العربي، ١٩٩٥م)ص٢٩٣- ٣٩٤.

[٧٠] البلاذري ،احمد بن يحي بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) فتوح البلدان(بيروت ،دار ومكتبة الهلال ،١٩٨٨م) ص٢١٤

[٧١] سورة التوبة ، الآية ٤

وأكد ﷺ على العدل ورفع الظلم بقوله:" **أَلَامَنْظَلَمَمُعَاهِدًا،أَوِانْتَقَصَهُ،أَوْكَلَّفَهُفَوْقَطَاقَتِهِ،أَوْأَخَذَمِنْهُشَيْئًابِغَيْرِطِيبِنَفْسٍ،فَأَنَاحَجِيجُهُيَوْمَالْقِيَامَةِ** " (٧٢).

إن التعدد الثقافي والتنوع الحضاري والديني والفكري أمر طبيعي في المجتمع المسلم ، فالنبيﷺ أُرسل رحمة للعالمين وللناس كافة وخاتما للنبيين مصدقا للأنبياء والمرسلين .

وهناك من الأدلة التاريخية ما يدلل على تقبل المسلمين للتنوع الحضاري منها الوثيقة التي كتبها رسول الله ﷺ إلى أهل نجران :"**وَلِنَجْرَانَوَحَسَبِهَاجِوَارُاللَّهِوَذِمَّةُمُحَمَّدٍالنَّبِيِّعَلَىأَنْفُسِهِمْوَمِلَّتِهِمْوَأَرْضِهِمْوَأَمْوَالِهِمْوَغَائِبِهِمْوَشَاهِدِهِمْوَعَشِيرَتِهِمْوَبَعِهِمْ،وَأَلَّايُغَيَّرُوامِمَّاكَانُواعَلَيْهِ،وَلَايُغَيَّرَحَقٌّمِنْحُقُوقِهِمْوَلَامِلَّتِهِمْ**" (٧٣).

وإذاالميجبرالإسلاممنتحتولايتهعلىالدخولفيه؛فإنهيكونبذلكقدتركللناسحريةالبقاءعلىأديانهم،وأولمقتضياتهالسماحلآخرينبممارسة عباداتهموالسماحبها،وضمانسلامةدورالعبادة.

وهذاماضمنهالمسلمونفيعهودهمالتيأعطوهاللأمماليتدخلتفيولايتهمأوعهدهم،فقدكتبالنبيﷺلأهلنجرانأماناًشملسلامةكنائسهموعدمالتدخلفيشؤونهموعباداتهم ،وأعطاهمعلىذلكذمةاللهورسوله ،يقولابنسعد(٧٤): "وكتبرسولاللهﷺلأسقفبنيالحارثبنكعبوأساقفةنجرانوكهنتهومنتبعهمورهبانهم : أنلهممماتحتأيديهممنقليلوكثير،منبيعهموصلواتهمورهبانهم،وجوارللهورسوله،لايغيرأسقفعنأسقفيته،ولاراهبعنرهبانيته ،ولاكاهنعنكهانته ".

وما كتبه ﷺ إلى أهل مقنا(٧٥):"....**فَإِذَاجَاءَكُمْكِتَابِيهَذَافَإِنَّكُمْآمِنُونَوَلَكُمْذِمَّةُاللَّهِوَذِمَّةُرَسُولِهِ**...."(٧٦)

فإرغام الناس على دين واحد أو قبولهم منهج واحد غاية لا تدرك، فالمسلمون مأمورون بالاعتراف بحق غير المسلمين وحسن التعامل مع من لا يشاركهم في العقيدة.

---

(٧٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٦٤؛ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ/٨٨٨م) سنن أبي داود ، تحقيق : سعيد محمد اللحام (بيروت ، دار الفكر ، د.ت)ج٣،ص١٧٠

(٧٣)ابن شبة، عمربن شبة بن عبيدة النمري البصري (ت٢٦٢هـ/٨٧٥م) تاريخ المدينة ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت (جدة ، ١٣٩٩هـ)ج٢،ص٥٨٤ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان، ص ٧٢.

(٧٤) الطبقات الكبرى ،ج ١، ص ٢٦٦ ؛ ابن زنجويه ، كتاب الأموال ، ج٢ ، ص ٤٤٩.

(٧٥)مقنا:قرب أيلة صالحهم النبي ﷺعلى ربع عروكهم، والعروك حيث يصطاد عليه.(ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص ١٧٨)

(٧٦)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٦٧

إن للسلم قيمة عالية في منظومة الإسلام الاجتماعية ، باعتبار إن الأصل الإنساني واحد {وَهُوَالَّذِيأَنْشَأَكُمْمِنْنَفْسٍوَاحِدَةٍفَمُسْتَقَرٌّوَمُسْتَوْدَعٌقَدْفَصَّلْنَاالْآيَاتِلِقَوْمٍيَفْقَهُونَ}(٧٧) وأساس العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلم{وَإِنْجَنَحُوالِلسَّلْمِفَاجْنَحْلَهَاوَتَوَكَّلْعَلَىاللَّهِإِنَّهُهُوَالسَّمِيعُالْعَلِيمُ}(٧٨).

وإن من مقاصد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تكون كلمة الله هي العليا ، ومن يقارن بين نتائج الغزوات التي خاضها المسلمون يجد أن عدد من قُتل من كلا الطرفين كان قليل مع إن تلك الغزوات قد غيرت مجرى التاريخ ونجحت في إنقاذ الناس من الظلم وأدت دورا كبيرا في بسط العدل(٧٩).

فالإسلام أسس علاقة مؤصرة بين المسلمين بغيرهم على أساس المسالمة والعدل والأمان . فأمر إتباعه معاملة مخالفيهم بالحسنى ومبادلتهم المنافع .

ورغّب الإسلام باستثمار التنوع في التعارف الدائم ، والنفع المشترك كما في قوله تعالى:{يَاأَيُّهَاالنَّاسُإِنَّاخَلَقْنَاكُمْمِنْذَكَرٍوَأُنْثَىوَجَعَلْنَاكُمْشُعُوبًاوَقَبَائِلَلِتَعَارَفُوا إِنَّأَكْرَمَكُمْعِنْدَاللَّهِأَتْقَاكُمْإِنَّاللَّهَعَلِيمٌخَبِيرٌ}(٨٠) .

ويرى ابن الطلاع(٨١) إن غير المسلمين أسندت لبعضهم مهام مثل اسرى غزوة بدر، حيث جعل عليه الصلاة والسلام تعليم بعض أبناء المسلمين القراءة والكتابة بيد الأسرى(٨٢) .

ثالثا –مهمة حل الاختلاف بالتفاوض :

للتسامح الديني آثاراً على الفرد والمجتمع، ويسهم في البناء الحضاري، حيث يعترف بالآخر، فيؤثر فيه، ويتأثر به، وهو ما يعني ارساء حضارة قوية وممتدة، لن تعصف بها التقلبات الاقتصادية والسياسية. فعلى مستوى الاحداث التاريخية فهي مليئة بالعديد من النماذج التي تشهد على التعايش السلمي في عصور

(٧٧) سورة الأنعام ، الآية ٩٨

(٧٨) سورة الأنفال ، الآية ٦١

(٧٩) القاسمي ، بدر المحسن ، احترام التنوع الحضاري والثقافي(كولومبو ، ٢٠٠٦)ص٨

(٨٠) الحجرات ، الآية ١٣

(٨١) ابن الطلاع ،محمد بن الفرج القرطبي المالكي (ت ٤٩٧هـ)أقضية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (بيروت، دار الكتاب العربي ، ١٤٢٦ هـ) ص١٥

(٨٢) السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م)الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ،تحقيق:عمرعبد السلام، ط١(بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٢ هـ)ج٥،ص١٦٧.

الازدهار الإسلامي الأولى. منها شروطصلحالحديبية ، حيث استقبلرسولاللهﷺ مفاوضقريشوهوأرغبمايكونفيموادعةالقوم،وإنكانقادراعلى إنزالالهزيمة بخصومه،وعرضتالشروطالتييتمّفينطاقهاالصلح،ووافقعليهارسول الله عليه الصلاة والسلام[٨٣].

وحدثتفيمعسكرالمسلميندهشةعامةللطريقةالتيسلكهارسولاللهﷺ معأعدائه.فقدذهبالملاينتهم .وأمامعأصحابه– فإنّهعلىغيرماألفوامنه– ليستشرهمفيهذاالاتفاقالمقترح ، معأنّهفيشؤونالحربوالسلمالتيسلفتكانيرجعإليهم ،وربمانزلعلىرأيهم . ولأنهلميكنثمةعقدصلحكانالأمانتيجةله ،ولأنهلمتفرضجزيةعلىأحدمنأهلمكةالمكرمة [٨٤]. فالعلاقات مع الآخرينفيعهدالنبي ﷺكانتتقومعلىأساسالسلاممعالآخرين ،كماتؤيد ذلكوقائعالتاريخ .

وإنمنمكاسبهذاالصّلحاعترافقريشبمكانةالمسلمين،وتسليمهملهمكفريققويّكريم،تبرمعهالمعاهدات،ويتّفقمعهعلى مفاوضات،ثمّكانمنأفضلثمارهذاالصلحالهدنة،التياستراحفيهاالمسلمونعنالحروبفاستطاعوافيهذهالفترةالسلمية،أنيقة وموابدعوةالإسلام،فيظلّالأمنوالسلام [٨٥].

رابعا– التسامحوالحوار:

التسامح هو احترام حرية الآخر، وطرق تفكيره وسلوكه وعقائده وآرائه[٨٦]،فهو خُلق إنساني أصيل دعا إليهالإسلام، لأنه يحفظ تماسك المجتمعات والأوطان وينشر الأمان. ويدرأ الفتنالدينيةالتي هي منأعقدالمشكلاتحلاً،وأسوأهاآثاراً،وأسرعهااشتعالاً،وأبطئهاخموداً،وتقديراًمنالإسلاملهذهالاعتبارات،نهالقرآنال كريمالتجادلفيشؤونالعقيدةالدينية،لذلكخطاالقرآنخطواتواسعةفيهذاالمجال،وأرجأالفصلفيشؤونالعقيدةلله عز وجل ونربذلكواضحاًجلياًفيقولهﷻ: **{إِنَّالَّذِينَآمَنُواوَالَّذِينَهَادُواوَالصَّابِئِينَوَالنَّصَارَىوَالْمَجُوسَوَالَّذِينَأَشْرَكُوااِنَّاللَّهَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْيَوْمَالْقِيَامَةِإِنَّاللَّهَعَلَىكُلِّشَيْءٍشَهِيدٌ}**[٨٧].

يريدالقرآنمنهذاأنينصرفكلأهلدينإلىالحالسبيلهويعملعلىشاكلته،ويُعْرضعنالاحتكاكبالآخرينفلايثيرمعهمأموراًدينيةتكونسبباًفيإشعالالفتنةوالاضطرابفيختلنظامالحياة.

---

[٨٣] الغزالي ، محمد السقا ، فقه السيرة ، ط١(دمشق ، دار القلم ،١٤١٦م) ص ٣٣٣

[٨٤]الغزالي ، فقه السيرة ، ص ٣٣٣.

[٨٥] شلبي،رؤوف،الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجهاوغاياتها (بيروت ، دار القلم ،د.ت) ص٥٩٤

[٨٦]عمر ، أحمد مختار عبد الحميد ،معجم اللغة العربية المعاصرة ،ط١(د.م،عالم الكتب ٢٠٠٨ م)ج٢،ص١١٠٥

[٨٧] سورة الحج ، الآية :١٧.

ومن مبادئ الإسلام نبذ العنف والأحقاد **(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)**[٨٨].

والإسلام لا يحرص على سلامة أرواح غير المقاتلين من الأعداء فحسب، بل يوصي المجاهدين المسلمين بعدم التعرض للأهداف المدنية[٨٩]. فالإسلام يميز تمييزا واضحا بين المقاتلين وغير المقاتلين، فمن لم يباشر القتال بنفسه من الأعداء لا يجوز التعرض له، وقد بلغ السموّ الإسلامي أقصى درجاته، إذ يوصي ﷺ الجند إذا اتجهوا الى غزوة بعدم التعرض للأطفال والشيوخ والنساء، بل حتى الفلاحون في حرثهم ،والرهبان في معابدهم، كل أولئك معصومون بحصانة القانون من أخطار الحرب[٩٠] حتى صارت هذه الوصية من السنن المأثورة

: **"اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا...»**[٩١] و

في هذه الوصية نلمس الحث على السلام .

---

[٨٨] سورة فصلت ، الآيتان ٣٤-٣٥

[٨٩] عبد اللطيف ،عبد الشافي محمد،السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي(القاهرة،دار السلام ،١٤٢٨هـ)ص١٦٣

[٩٠] عبد اللطيف ، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، ص١٧٧

[٩١] مسلم ، صحيح مسلم ، ج٣، ص١٣٥٧

الخاتمة

إن القراءة الواعية لآيات القران الكريم ونصوص السنة النبوية المطهرة تكشف عن منظومة من المفاهيم تؤكد على حرية الإنسان وحقه في الاختيار .حيث مثّل الحوار بداية انطلاق سياسة اجتماعية جديدة لدولة المدينة

يتأكد التأصيل الاجتماعي في المبادرات في الميادين كافة والتي أسهمت في احداث نهضة حضارية بالمجتمع آنذاك .

إن صيغ التسامح تتنوع بتنوع المجتمعات الإنسانية في إطار الزمان والمكان ، والمراحل التاريخية ،فان التسامح يؤسس للعلاقات الإنسانية التي يريد الإسلامأن تسود حياة الناس فتأكيد الخصوصيات العقائدية والحضارية والثقافية،لا سبيل الى إلغائه، فمفهوم التسامح يرتبط عميقا بمفهوم السلام. حيث يسجل مفهوم التنوع حضوره في عمق التجربة الإنسانية.

إن مهمة التسامح هي تأمين التعايش المشترك في وجود التباين والاختلاف، ومن ثم الحفاظ عليه ، وحماية ما ينطوي عليه من قيم أساسية للوجود الإنساني .

رسخت صحيفة المدينة مفهوم التعايش مع الديانات الأخرى في وطن واحد مع حفظ خصوصيات الجميع ، ودللت على تسامح المسلمين مع كل الفئات في المجتمع على اختلاف انتمائها.

الاختلاف أمرحتمي وواقع ، بشرط أن لا يؤدي الى نزاع ،ويحصل نتيجة فهم مغاير بسبب اختلاف مدارك الناس ويحل بالمناقشة وينتهي ببيان وجه الحق على منهاج النبوة حيث الرحمة مع اقامة الحجة .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا –المصادر:

-احمد ، احمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥ م)مسند الإمام احمد بن حنبل (مصر ، مؤسسة قرطبة ، د. ت)

-الازرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ / ٨٦٤م)أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق : رشدي الصالح ، ط١ (بيروت ، دار الاندلس ، د.ت)

-البخاري ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)صحيح البخاري ، تحقيق : د . مصطفى ديب البغا ، ط٣ (بيروت ، دار ابن كثير ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) .

- البستي ، أحمدبنمحمدبنإبراهيم(ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) معالم السنن،ط١(حلب،المطبعةالعلمية، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م)

-البلاذري،أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)فتوح البلدان(بيروت ، دار ومكتبة الهلال ، ١٩٨٨ م)

-البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٧١ م) سنن البيهقي ، تحقيق : محمد بن عبد القادر (مكة المكرمة ، مكتبة دار الباز ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) .

-ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي(ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢م) .

-ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الارناؤوط (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م).

-أبو داود ، سليمان بن الأشعثالسجستاني (ت ٢٧٥ هـ/٨٨٨م) سنن أبي داود ، تحقيق : سعيد محمد اللحام (بيروت ، دار الفكر ، د.ت) .

-الربعي ، محمد بن عبد بن زير (ت٣٩٧هـ)مولد العلماء ووفياتهم،تحقيق:عبد الله سليمان الجد ، ط١ (الرياض،١٤١٠ هـ) .

-الزيلعي،جمال الدين عبد الله(٧٦٢ت هـ/ ١٣٦٠م)تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ،ط١ (الرياض ، دارابن خزيمة ،١٤١٤هـ)

- ابن سعد، محمدبن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) الطبقات الكبرى ، تحقيق : احسان عباس، ط١(بيروت . دار صادر ،١٩٦٨م) .

-السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م)الروض الأنف في شرح السيرة النبوية،تحقيق:عمرعبد السلام، ط١(بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٢ هـ)

-ابن سيد الناس ، محمد بن محمد بن احمد اليعمري(ت ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣م) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير،تعليق: ابراهيم محمد رمضان ، ط ١ (بيروت ، دار القلم ، ١٤١٤ هـ /١٩٩٣م)

-السيوطي ،عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين(ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)الدر المنثور(بيروت ، دار الفكر،١٩٩٣م)

-ابن شبة ،عمر بن شبة بن عبيدة النمري البصري (ت٢٦٢هـ/٨٧٥م) تاريخ المدينة ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت (جدة ، ١٣٩٩هـ).

-الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) تاريخ الرسل والملوك ، ط ٢(بيروت ، دار التراث ، ١٣٨٧هـ) .

-الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة (ت ٣٢١ هـ / ٩٣٢ م)شرح مشكل الاثار ، تحقيق: شعيب الارناؤوط ، ط١(بيروت، مؤسسة الرسالة،١٤١٥هـ / ١٩٩٤ م)

- ابن الطلاع ،محمد بن الفرج القرطبي المالكي (ت ٤٩٧هـ)أقضية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (بيروت ،دار الكتاب العربي، ١٤٢٦ هـ)

-العيني،بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)عمدة القاري(بيروت، دارإحياء التراث العربي،د.ت)

-الفراهيدي ، الخليل بن احمد (ت ١٧٠ هـ/ ٧٦٨م)العين ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي (بيروت ، دار مكتبة الهلال ، د . ت)

-الفيومي ، احمد بن محمد بن علي المقري (ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م)المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (بيروت ، د . ت)

-الفيروزابادي،مجد الدين أبو طاهر محمد(ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤م) القاموس المحيط ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، ط ٨(بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).

-القاضي عياض، بن موسى بن عياض اليحصبي البستي (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م):مشارق الأنوار على صحاح الاثار(بيروت، المكتبة العتيقة ودار التراث ، د.ت).

-الكاساني ، علاء الدين أبو بكر بن مسعود(ت ٥٨٧ هـ / ١١٩١م) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع،ط٢(بيروت ،دارالكتب العلمية،١٤٠٦هـ/١٩٨٦ م) .

-ابن كثير،اسماعيل بن عمر(ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢م)البداية والنهاية (بيروت ، مكتبة المعارف، د .ت).

-الكلاعي ، سليمان بن موسى الأندلسي (ت ٥٦٣هـ/١٢٣٦م)الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله -صلى الله عليه وسلم - والثلاثة الخلفاء، تحقيق : كمال الدين عز الدين علي ، ط١ (بيروت ، عالم الكتب ، ١٤١٧ هـ)

-مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ/٨٧٤ م)الجامع الصحيح المشهور بصحيح مسلم (بيروت ، دار الفكر، د . ت) .

-ابن منظور،محمد بن مكرم بن علي الانصاري الافريقي(ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م) لسان العرب ، ط ٣ (بيروت ، دار صادر ، ١٤١٤ هـ)

-ابن هشام ،عبد الله بن هشام بن ايوب المعافري (ت ٢١٨ هـ/ ٨٣٣م): السيرة النبوية، تحقيق : عبد الرؤوف سعد (بيروت، دار الجيل ، ١٤١١ هـ)

-الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢م) كتاب المغازي،تحقيق: مارسدن جونس(بيروت،دارالاعلمي،١٩٦٦م)

فتوح الشام (بيروت ،دارالكتب العلمية،١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)

-ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبوعبد الله بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م) معجم البلدان (بيروت ، دار صادر ، ١٩٩١م) .

ثانيا –المراجع :

-البغدادي ،عبد العزيز أحمد ، ترشيد الاختلاف لواجب الائتلاف، بحث في فتنة الاختلاف والتفرق فيهما ترشيدا(بغداد ، دار الرقيم ،٢٠٠٤م)

- خليل، عماد الدين ، دراسة في السيرة(بيروت ،دارالنفائس،١٤٢٥هـ)

- الشريف، أحمدإبراهيم،مكةوالمدينةفيالجاهليةوالإسلام (مصر ، دار الفكر العربي، ١٩٩٥م)

- الزيات ، مصطفى، إبراهيم / أحمدالزيات/حامدعبدالقادر / محمدالنجار) المعجمالوسيط (القاهرة ، مجمعاللغةالعربية، دارالدعوة، د. ت)

- شلبي ،رؤوف،الدعوةالإسلاميةفيعهدهاالمكيمناهجهاوغاياتها(بيروت ، دار القلم ،د.ت)

-عبد اللطيف ،عبدالشافيمحمد،السيرةالنبويةوالتاريخالإسلامي(القاهرة،دارالسلام ،١٤٢٨هـ)

-عمر ، أحمدمختارعبدالحميد،معجماللغةالعربيةالمعاصرة ،ط١(د.م،عالمالكتب ٢٠٠٨ م)

-العمري،أكرمضياءالسِّيرةُالنَّبَويَّةُالصَّحيْحَةُمُحَاوَلَةٌلِتَطبِيْقِقَوَاعِدِالمحَدِّثِيْنَفِيْنَقْدِرِوَايَاتِالسِّيْرَةِالنَّبَوِيَّةِ ،ط٦ (المدينةالمنورة ،مكتبةالعلوموالحكم،١٩٩٤م)

-الغزالي ،محمد السقا الغزالي ، فقهالسيرة، ط١(دمشق ، دار القلم ،١٤١٦م)

-القاسمي ، بدر المحسن ، احترام التنوع الحضاري والثقافي(كولومبو ، ٢٠٠٦)

ثالثا– مواقع الانترنت:

النابلسي ، احمد راتب ، التعايش السلمي والتالف ، موقع سيدنا محمد ﷺ.